السنة السادسة / الجمعة / 14 تشرين الثاني 2014 / العدد 1635
Sixth year / Friday / 14 November 2014 / Issue No. 1635

البناء

من الإبداع القوميّ

المناهج عند سعاده والقراءات الخمس 3. نهج النهوض

د. حيدر الحاج اسماعيل

أبدأ كلامي على نهج النهوض عند سعاده، بذكر الملاحظات التالية:

اعتقد سعاده أن النهوض، هو نهوض قومي في الدرجة الأولى وعلى قاعدة أن الأمة مجتمع واحد. والنهوض القومي غير ممكن بدون تأسيس عقلية أخلاقية شعبية جديدة، أو وضع أساس مناقبي اجتماعي جديد. والعقلية الأخلاقية الجديدة، يجب أن لا تكون مقتلعة بدون جذور في تاريخ الأمة. وهذا ما فعله سعاده عندما قال في المبدأ الأساسي السابع: «تستمد النهضة السورية القومية الاجتماعية روحها، من مواهب الأمة السورية وتاريخها الثقافي السياسي القومي»، هذا المبدأ يفيد فائدتين هما:

أ ـ فائدة أنه إثبات على إيمان سعاده، بضرورة النهج التاريخي وأهميته.

ب ـ فائدة أنه تأسيس للاستقلال الروحي، الذي كان فقدانه من أهم عوامل فقدان الوجدان السوري القومي.

سعاده، الذي يقول إن النهضة تستمد روحه من مواهب الأمة وتاريخها، يعتقد بأن النظريات الثقافية التي ظهرت في تاريخ الأمة، هي جذور مبادئ النهضة الجديد. فهناك استمرارية أو اتصال أو اشتراك، بين عقائد الأمة السابقة، وعقيدتها النهضوية الجديدة.

نبدأ بالقضية السورية، أي قضية الشعب السوري والوطن السوري، فنجدها أنها كانت قضية الأجيال السورية منذ أيام الساميين القدماء، أمثال الآشوريين والبابليين، الذين حرروا بقيادة سنحاريب ونبوخذنصر فلسطين، حتى أيام السوريين الذين تعاونوا مع المسلمين المحمديين لتحرير سورية من الروم، حتى أيام السوريين الذين قادهم صلاح الدين الأيوبي لتحرير القدس والبلاد من الصليبيين الأوروبيين، حتى أيام السوريين الذين تعاونوا مع الحلفاء (الإنكليز والفرنسيين)، لتحرير سورية من الحكم العثماني، حتى أيام يوسف العظمة بطل ميسلون، حتى أيامنا هذه حيث نجد الأمة السورية ممثلة بالحزب السوري القومي الاجتماعي، وبدولها وتنظيماتها القومية والوطنية والتقدمية الأخرى، كلها مهتم بتحرير ما تبقى محتلاً من جنوبي لبنان والجولان وفلسطين.

ثم هناك قضية السلام، التي كانت مركز الدائرة في كل العقائد التي آمن بها الشعب السوري، ابتداءً من زينون الرواقي (ابن صيدون)، الذي علم أن كل البشر أخوة، ودعا إلى السلام الكوني cosmopolis منذ أربعمائة سنة قبل ميلاد المسيح، إلى عيسى بن مريم الذي قال و«على الأرض السلام» لجميع الأمم، إلى محمد الرسول الذي هذب بالقرآن الناس، فصاروا يحيّون بعضهم بأسمى تحية، ألا وهي: «سلام الله، عليكم»، إلى سعاده الذي أدخل في نشيد الحزب، فكرة السلام فصرنا ننشد ونسمع عبارة: «سورية لك السلام».

ثم هناك قضية المسيحية عموماً، والمحمدية عموماً، وقد جاءا في تعليم سعاده، قضية واحدة ظاهرة في قوله: كلنا مسلمون لرب العالمين، منّا من أسلم لله بالإنجيل، ومنّا من أسلم لله بالقرآن، ومنّا من أسلم لله بالحكمة.

ثم هناك قضية صورة الزوبعة في علم الحزب، التي هي مستمدة من الهلال والصليب، في وحدة سامية، فالزوبعة تجد جذورها فيهما، لكنها لا تجمع الهلال والصليب جمعاً تدابرياً أو خارجياً، بل هي مندمجهما، وهما فيها متمازجان متحدان اتحاداً حقيقياً، لذلك هي الزوبعة رمز الوحدة القومية الاجتماعية الحقيقية، التي تنتج عن تمازج الشعب بكل فئاته في مجرى الزمان.

نلاحظ إذن أن سعاده، يصل فضائل الثقافة الشعبية القديمة، بتعاليم النهضة الجديدة، وذلك لكي يتمكن بهذا النهج، أن يحقق استقلالاً روحياً قومياً لا غنى عنه، لأنه يحرس النهضة ويحميها من المداخلات والتأثيرات الخارجية، ثم لكي تقوم النهضة على أساس راسخ في تاريخنا، وفي ثقافة شعبنا.

لنعد الآن إلى مجرى حديثنا الرئيسي، وهو المختص بالملاحظات التي أردتها على نهج النهوض عند سعاده، فأذكر الملاحظة التالية:

والنهوض غير ممكن بدون التمييز بين مفهوم الأمة ومفهوم الدولة، واعتبار الأمة أساس للدولة، وما يتبع هذا التمييز، من وضع مبادئ جديدة خاصة بالأمة، ومبادئ جديدة خاصة بالدولة القومية، وهذا فعله سعاده بوضعه المبادئ الأساسية الثمانية، والمبادئ الإصلاحية الخمسة.

النهوض غير ممكن بدون التمييز بين مفهوم الفرد ومفهوم الأمة ـ المجتمع، فلا يضيع الفرد في كلية الأمة، ولا يستغل الأمة أفراد منها.

هذا البند من نهج سعاده النهضوي هام جداً، وأهميته تكمن في أن سعاده، تمكن بواسطته من أن يحل مسألة الدين، ومسألة العروبة، في مجتمعنا السوري، كما أسلفنا. ولما كانت هاتان المسألتان واردتين في تاريخنا السوري، لذلك جاء حل سعاده لهما، حلاً يحتفظ بهما، وفي نفس الوقت يبعد الأذى، الذي يمكن أن ينشأ عن وضعهما في غير مكانهما العصري الحديث، الذي اقتضته الظروف الموضوعية والحقائق العلمية.

مثلاً، لم يعد الدين ظاهرة المجتمع كله، فليس حقيقة أن الدين المسيحي، هو دين المجتمع كله، وليس حقيقة أن الدين الإسلامي، هو دين المجتمع. ولكن الدين لم يذهب أمره، ولم يختف بسبب تلك الظاهرة. الذي حصل هو أن الدين بقي، وسعاده يؤكد بقاءه، لكن كصفة للفرد وليس كصفة للمجتمع، فموضع الدين أو محله، هو الفرد وليس المجتمع (أو الدولة).

ومثل آخر نضربه من مسألة العروبة. سعاده يقول إن العروبة كانت صفة الفرد، كل فرد في شبه الجزيرة العربية، وربما في بعض المناطق الأخرى من عالمنا العربي. لكن النظرة العلمية للواقع البشري وللحقائق الاجتماعية الجديدة لبلادنا السورية خصوصاً، وللعالم العربي عموماً، تكشف لنا عن ظاهرة جديدة، هي أن العروبة لم تعد صفة الفرد، كل فرد، بالضرورة بل صارت صفة الشعوب، أو الأمم، ذلك لأن الأفراد ليسوا كلهم عرباً، أو من أصل عربي، هذا واضح في سورية، حيث يوجد آشوريون وكلدان وأكراد وأرمن وشركس وفينيقيون، إلخ... بالإضافة إلى الأفراد الذين يعتقدون أنهم من أصل عربي، وواضح في مصر، حيث أقباط وعرب، وواضح في المغرب العربي الكبير حيث يوجد عرب وبربر وطوارق، إلخ. وواضح في شبه الجزيرة العربية، حيث عرب وفرس، إلخ.

العروبة لم يذهب أمرها، لأنها لم تعد صفة الأفراد كلهم، بل بقيت عند سعاده في قوله العظيم، إن الأمة السورية، أمّة عربية، الذي معناه العميق، أن العروبة صفة الأمة في سورية، وصفة الأمة المصرية في مصر، وصفة كل الشعوب في العالم العربي.

هذا النهج هام جداً كما ذكرت، لأنه يربط بين الحقائق الاجتماعية الجديدة، والعقائد الثقافية القديمة، ربطاً جميلاً مؤكداً للحقائق، ومحافظاً لها في خدمة حركة النهوض لسورية وللعالم العربي. خلاف ذلك، شلل لسورية وشلل للعالم العربي.

(من كتاب «المناهج عند سعاده والقراءات الخمس»، ضمن سلسلة التعريف بفكر سعاده، عن «دار فكر للأبحاث والنشر»)

جولييت أنطونيوس شاعرة السَفَر إلى الثمرة المحرّمة(*)

رفيق أبو غوش

«ذات يوم علينا أن نعبرَ، أن نهجرَ الضفاف ،أن نرخي العنانَ للروح، ذات يوم ستجرُّ خيولُ العمر عربةَ الرحيل كجدول يجوبُ الأرض ،ذات يوم يتجدَّدُ البحرُ كلَّما سافرت مياهُهُ ،ويتجدَّدُ في ولادة مستمرَّة، أرسُم وجهكَ في الضباب ،أمتلئُ بكَ عطراً وغناءً ،راقصني ،قبّلني، لنُحيي الشمسَ بالقُبل».

«أغمض عينيكَ لترى» أنطولوجيا لونيَّة بصرية سمعيَّة تتشكَّل في الفضاء الشعري للكلام، سفرٌ، في خاطر امرأة تركبُ البحرَ لتقنصَ وسنَ الأعماق وتسافرَ في حنجرة الغابات رقصاً وغناءً وموسيقى.

تتقاطعُ في الكتاب ثنائيتا الحامل والمحمول ،فبؤرة الكلمة «أغمض عينيكَ» توحي اختلافًا وتضادّا شديدين ،فإغماض العين يشي بالهدوء والسكينة، في حين أن حقلَ البصر والرؤية يتأتّى عنهُ الكثير من التوتّر واليقظة ،وغايةُ ما يطمحُ الشعرُ إليه أن يجمعَ بين شيئيين" متباعدين في خصائصهما وصفاتهما على نحو فجائيّ ومثير للدهشة، على ما يقولُ أحدُ زعماء السوريالية. وتبعاً لذلك لم يعُد يُنظرُ الى التصوير بوصفه إقامةُ علاقة بينَ شيئين على أساس فيزيقي، ذلكَ أنَّ الشعراء يجمعونَ صُورهم انطلاقاً من أشياءَ متباعدة ترتبطُ بعوالمَ تجريديَّة لا صلةَ لها بالوعي أو بالفكر ،إنَّما لها صلةٌ بالاستبدال اللفظي والنسخ المباشر للأشياء الملموسة.

هذا التنازعُ ما بيَن الثنائيات المتباعدة يتقاطعُ عندَ ذاكَ الترجُّح والتخلخل العميق بين الواقع والمثال ،الحب والموت، الأنا والآخر، الذاتي والموضوعي، في مونولوغ داخلي صاخب .فمعظمُ النصوص تتزيَّا بصور من السيولة والتدفّق الذي تقتضيه الضرورات الدرامية والفنّية للعمل الأدبي. فالصورُ غزَّارة ،متلاحقة داهمة تكرجُ على رصيف الجمال،واللغةُ الشعرية تستثمرُ العناصرَ الصوتيَّة والدلالية بلغة الأشياء التي تسمحُ لها ببعض التمييزات والإنزياحات .فالشرطُ الأساس لحدوثِ الشعرية هو حصولُ الانزياحِ باعتبارِه خرقًا للنظام اللغوي المعتاد،وإطاراً مرجعيًّا فاعلاً في الثقافة الحديثة، لأنَ التأويل الحرفي للنص يسدُّ باب الانفتاح الدلالي ويُذهبُ لذّة الكشف الجمالي، وصوغ النّص الأدبي وتشكيلُه ومؤهلاته التّعبيريّة هي التّي تمنحه سمة التّفجير الدّلالي والتّوسّع التّعبيري والتّشظّي في فضاء الشّعريّة. ولأنّها كذلك تنبني قماشة الكتاب على خيوط من حرير الكلام، وذلك بيّن من خلال الأجواء الصّوفيّة التّي تّشيعها الشاعرة محقّقة من خلالها كينونتها. تقول في الصّفحة ١٣سأحتفظ بحقي في اختيار مكاني. لا أحب الأماكن المغلقة. أريد مكاناً محايداً لا ينتمي للحب، لاينتمي للحرب». وتتقمّص صوراً ممتزجة بمرارة الحرب ومأسويّتها وتستحضر الذّاكرة الفرديّة عبر الماضي الصّادم والمروّع كأنّها في غربة روحيّة. ولكي تكتمل دائرة الحضور تطلب الشّاعرة الانتساب الى المكان على المستوى الرّوحي والقيمي، ما يؤدّي الى حضور المكان / الوطن / باعتباره جسداً وروحاً معاً. لذا تطلب منه أن يقوم بأفعال الآلهة في الأسطورة ليتقمّص شخصيّة إيزيس التّي لملمت جسد أوزيريس وأعادته الى الحياة. وبهذا تكتمل دائرة الرّمز والأسطورة المتمثّلة بالبعث والتّجدّد.

أمّا الطّفولة فتتجلّى بأبهى صورها في الطّفلة الحافية التّي تلهو بأكواز الصّنوبر، وتحفر حلمها على أطراف اللّبان، وتركض في الأودية، وتطلق خيالها للريح وتنتشي بحضورها في الطّبيعة تلك التّي تنتشر في مدار واسع من الرّؤيا الشعريّة وتطلّ من خلالها على وطن بحجم الحلم : النّهر، البحر، الأشجار، القمر، القناديل، اللّيل المتّشرّد الربيع المناخ بأساليب تعبيريّة متنوّعة. تختصر صورة لبنان ونمط الحياة فيه بصورة تبعث في النفس طمأنينة ودعة ورومنسيّة. فالبحر والجبل هما عينا لبنان على الأزمنة. كأن الشّاعرة عرّافة الدهشة في محراب التاريخ والجغرافيا، ذلك أنّ هذا المتوسّط بحرٌ داخلي للفنون والآداب والمراكب الحالمة على صفحة الماء، وكأنّه يحدس بأن إنسان هذا العصر أخذ يهربُ من الطّبيعة فلا يهتزّ لسقسقة النّبع ولا لخفقات الجداول، وكأنّ اليوم لا يبدأ بالصباح ولا ينتهي حين ينتصف اللّيل(ص ١٤٧). إنه الزّمن الصاخب والمأزوم الذي اجتاحته الفوضى والتشيؤ.

في قصيدة « الساعاتي « تحسّ الشّاعرة بوطأة القدر وامتلاكه الوقت، والتّحكّم في مسار حياتنا. فالإنسان من وجهة نظر جبريّة ليس فاعلاً بل منفّذاً لقضاء. وهو المكتوب وليس الكاتب، وهذا المفهوم ساد الوعي الشعبي اليوناني ووجد تعبيره النّموذجي في مسرحيّة « أوديب ملكاً « لسوفوكليس حيث نجد بطلاً محكوماً قبل ولادته بقتل أبيه والزّواج من أمّه، ولا يُسعفه ذكاؤه في إنقاذ نفسه من المصير الذي حدّدته له الآلهة قبل ولادته. «يوم مولدي ليس لي، إنّه يوم للقدر»، تقول الشّاعرة.

في «لعبة الموت» (ص167) نقرأ: «استعجل أيُّها الآتي، مللتُ الخوف، أقبل فأنا ما زلتُ أغنّي وأضحكِ وأحب، أخافُ أن أموت فأنتصرُ عليك. خائفٌ أنت .فأنا إن مُت أنت تموت». بهذه الشجاعة تواجه الشاعرة الموت باحثةً عن نقطة ضعفه .فحياة البشر محكومةٌ بهذه المواجهة التاريخيّة ،والشعرُ من أهم الاستراتيجيات تنكيلاً بالموت وتأسيساً لقيامة مُتخَيَّلة تلعبُ به وتفضحهُ .وإذا كان الموت قادراً على إفناء الجسد فإنّ الكتابة تغدو جسداً غيرَ قابل للفناء.ويظهرُ معجمُ الشاعرة التركيبي المستند الى الاستلزامات الحوارية لأسلوبي النداء والأمر أكثرَ تأدُّباً مع الموت وهي تخاطبه بصورة كاريكاتورية ساخرة حيثُ يبدو مثيراً للسخرية والشفقة ،ويصبحُ أمراً غيرَ ذي بال لأن غاية الذات هي الحب والانتصار بالحب على وحش الفناء.قال سقراط قديماً إنَّ غايةَ الفلسفة هي التدرّب على مواجهة الموت ،وبينَ الشعر والفلسفة علاقة السؤال الدائم، خاصة إذا كان المسؤول عنهُ مفهوماً ضارباً في المجهولية مثل الموت .لذلك بادرَ نيتشه الى معالجة المشكلة بنظريّة العَود الأبدي التي ترى أنَّ كلَّ شيء يموت ينفتحُ من جديد عن سيرورة مكثّفة تتهندسُ بالخلود.

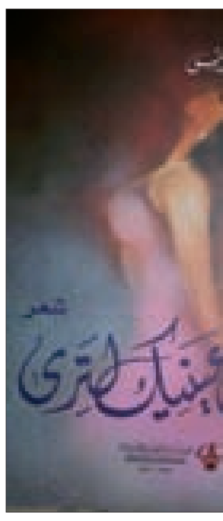

إنَّها تراتيل طوباوية تُصعّدها الشاعرة في محراب الحب الذي يهزمُ مفاهيم التشيُّؤ والعبثيَّة كلّها، فالهذيان يجتاحُ المشاعرَ ثمَّ يتفجَّرُ مزاميرَ صلاة لتصيرَ شعراً نقيًّا مثل شمس لبنان وبياضِ ثلوجه .والكلمات تتصادم ببعضهَا الآخر مولدة شرارات جديدة ومعاني غير مألوفة تُؤسسُ لمدلولات أخرى.ربما كان ذلك ناجماً عن اقتناع الشاعرة بأن لغة الشاعر لا تعرفُ الاستقرار، وأنَّ كل شاعر هو مخترع لغة مثلما يقول أنُسي الحاج. والشاعرُ مع هذه المقولة هو الإنسان غير المنسجم،هو مقترف الأفعال الرومنطيقية ،والذي لا يخلُق مشكلة عصره ،إنَّما يخلقُ أسطورتها. وبدلاً من أن يكون هو نفسهُ يجعلُ نفسهُ بمثابة الصدى ،وهذا ما يُعرفُ في لغة السورياليين «بالتصادي». لذلك على السوريالي أن يتعلَّمَ الغوص في أحلامه ليكتشفَ ذاته أكثر، فالإنسان على ما يقول فرويد هو كائنٌ نائم في المقام الأوَّل ويتعيَّنُ عليه كي يرى ويحلمَ أن ينام.

وكيفما سرَّحتَ نظركَ في الكتاب تقعُ على حزمة من الجمالات تنهمرُ عليكَ من كلّ صوب ،على عفويَّة في التعبير ،وسلاسة في السرد ،وسهولة في السبك،وأناقة في المقاربة. إنَّها إرهاصاتُ أنثى تتأرجحُ وسطَ التعرُّجات والغابات النضرة.وفي ذلك كلّه تتوسَّلُ الشاعرة روحَ السخرية واللغة التقريرية السهلة التي تتوخّى إحداثَ تأثير شعري واضح .

اغمض عينيكَ لترى مغامرةٌ إبداعيَّةٌ شغوفةٌ بالأسئلة المفتوحة ،مبلَّلة بعطر الياسمين .إنَّها بستانٌ في كتاب وبوحٌ أُنثويٌ دافىء يختزلُ الواقعَ القائم بين المرأة العاشقة ،والأنثى العابرة شقوقَ الحنين .فما أروعَ الكلام وهو يُحاكُ بريشة صبيَّة، ويبتردُ بإحساس أُنثى عاشقة مدهشة مثل التي نحن معها اليوم.

إنَّ قارىء جولييت أنطونيوس لا يسعهُ إلاّ السفر نحو الثمرة المحرَّمة ليكتشف معها سحرَ الأُنوثة ،ومواعدة الأمواج ومداعبة الشغاف. إنَّهُ نصٌ أُنثوي يختبىءُ وراء امرأة ثائرة في عشقها الأبدي.ناسكة في محراب صلاة لا فكاك من سحرها إلاّ بالطيوب تُعطّرُ فضاء الفن وتفتحُ الطريق أمام مغامرات شيّقة بلمسة امرأة رسولة لولاها لما اعتنى الله بهندسة الكون وقصّ زوايا الشمس.

افتح عينيكَ لترى كم كانت رائعة جولييت أنطونيوس في إبحارها نحو شواطىء الهذيان الجميل والتي اتّخذت مراسي لها في أقانيم الجمالِ السبعة.فكلّ نص يمرُّ في خاطر امرأة يغدو نصًّا جميلاً بامتياز. أليست المرأة هي أجملُ أيقونة على هذه الأرض ؟ إذا أغمضتَ عينيكِ سبحتَ في محيطات الأحلام،وإذا فتحتهما كمنَ لكَ العطرُ في زوايا المكان، وخلعَ عليكَ رذاذَ المتعة، وعندئذٍ أنت عالقٌ ما بينَ السحر وبين الجمال.

جولييت أنطونيوس سلمت يداك .ما أروعكِ عاشقة وشاعرة..شكراً.

---

[*] نص الكلمة التي أُلقيت في مناقشة كتاب الشاعرة جولييت أنطونيوس في معرض الكتاب في البيال بدعوة من محترف الفن التشكيلي والدكتور شوقي دلال.

غياب الفنّان التشكيليّ ورسّام الكاريكاتور المصري أحمد طوغان

غاب الفنان التشكيلي ورسام الكاريكاتور المصري أحمد طوغان عن 88 عاماً بعد صراع مع المرض الذي لازمه في الآونة الأخيرة ومنعه عن حضور افتتاح معرضه الأخير «ذكريات من زمن فات» في أيلول الفائت في القاهرة.

ولد طوغان عام 1926 في مدينة المنيا في صعيد مصر، ثم انتقل في فتى إلى القاهرة حيث برزت موهبته في الرسم. ونشر رسومه الكاريكاتورية في العديد من الصحف والمجلات، كما ساهم في تأسيس صحيفة «الجمهورية». وتوجت مسيرة طوغان بنيله في حزيران 2014 جائزة النيل، أكبر الجوائز في مصر.

كان الفنّان الراحل قد أصدر بالتزامن مع معرضه «سيرة فنان صنعته الآلام»، منشورات «الدار المصرية ـ اللبنانية»، ويعرض فيه لتجربته الثرية التي أتاحت له التقاء ومزاملة روّاد لمعت أسماؤهم في سماء الصحافة والأدب والسياسة، مثل صديق العمر محمود السعدني، وزكريا الحجاوي، ومحمد عبد المنعم رخا، وإحسان عبد القدوس، وعباس الأسواني، وصاروخان، وكامل زهيري، إلى أسماء قد نعرفها ولا ندرك قدرها مثل أبو الخير نجيب ومصطفى القشاشي وسعد زغلول فؤاد وعبد المنعم الصاوي.

في رحلته الثرية يأخذنا طوغان إلى أماكن يسكنها السحر وتطوف الأسطورة في أرجائها؛ لنُحلق معه في أجواء ممتعة، قبل أن يُعيدنا إلى صلادة الواقع مرَّة أُخرى، متحدثاً عن صحيفتي «الجمهورية»، والكاريكاتور، ثم صدمة وفاة ابنه بسَّام، رغم أنه يضرب بفُرشاته الهموم ليُخرج منها بهجة كامنة، غير أنه لا يُخفي آلامه، التي صنعت منه فنانًا ذا مذاق خاص.

الكتاب الصادر في 440 صفحة قطعاً كبيراً، والذي حرَّره أحمد كمال زكي، مقسّم إلى ستة أبواب، بالإضافة إلى ملحق للصور والرسوم والكاريكاتور، مع إهداء إلى أحفاد طوغان، إلى مقدمة كتبها الراحل خيري شلبي عن طوغان ومذكراته، قائلاً إنها «ليست مجرد مذكرات صحافي رسام حقَّق شهرة مدوية، إنما هي فصول من تاريخنا المعاصر، غير أنه التاريخ الحي، التاريخ غير المرئي، التاريخ المخبوء في كواليس استدرجنا إليها ليرينا ما لم نكن نعرفه عن شخصيات عايشناها وتتلمذنا على أيديها وتأثرنا بها».

يروي طوغان في الكتاب قصة حياته منذ ولادته في المنيا فانتقاله إلى أسيوط قائلاً: «وُلدتُ في مدينة المنيا في صعيد مصر في العشرين من كانون الأول عام 1926، وبدأت أدرك ما حولي في مدينة أسيوط. كان أبي ضابطًا في الشرطة، وأيامها كان ضباط الشرطة يتنقلون بين مختلف المدن حسب الحاجة إليهم». ويلفت إلى أنه كان البكر لوالدته، مرجحًا أن ذلك سبب وراء اهتمام أمه به رغم انشغالها في شؤون المنزل وفي هواية العزف على البيانو. إلا أنها تفرَّغت له معظم الوقت فعلَّمته القراءة والكتابة وأنشأته على الجدية والالتزام وحب الناس واحترام الكبير، والاعتزاز بالنفس والصدق والصبر والقناعة وكره الظلم وعيادة المريض وعدم التفكير في الثأر أو الانتقام حتى من أولئك الذين يسيئون إليه؛ لأن الله هو الذي يتولى عقابهم في الدنيا وفي الآخرة، مؤكداً أن الأيام أثبتت له صدق مقولتها!

بعد ذلك انتقل إلى الجيزة، لكن والده توفّى باكراً في عمر الرابعة والخمسين، كما توفى شقيقه عبد السلام الذي يصفه قائلاً: «كانت نفسه مليئة بالأحلام والآمال. في هذا العمر (19 عامًا) اشترك في تمثيل فيلم سينمائي أذكر أن عنوانه كان: «أرض السلام» وكان يشاركه في الفيلم عمر الشريف وعبد السلام النابلسي، وكانت حوادث الفيلم تُصوَّر في مدينة الأقصر».

إلى الحديث عن أيامه في القاهرة، قائلاً: «حضرت إلى القاهرة وأنا في الخامسة والعشرين من عمري، وسكنت في أول شارع شريف، في عمارة أمامها حديقة صغيرة وذات بواب نوبي اسمه فرح. كان نبيل الوجه، فيه الأنفة والاعتزاز بالنفس مثل جميع أبناء النوبة، ويرتدي جلابية ذات لون أزرق مُحلّى بالقصب في الشتاء، وفي الصيف جلابية بيضاء عليها النقوش نفسها، ويضع على رأسه عمامة بيضاء كبيرة».

يستفيض طوغان في الحديث عن أصدقاء ورفاق عمل أثر فيهم وأثروا فيه، في مقدمهم الكاتب الراحل محمود السعدني، صديق العمر، راوياً قصته معه وبداية تعرفه به، ثم رغبتهما في التطوع لأجل إنقاذ فلسطين، ورحلتهما معًا في طريق الصحافة، وإصدارهما مجلة «الأسبوع» التي نجحا في إخراج تسعة أعداد منها إلى النور، قبل أن تتوقف. لكن رحلتهما الصحافية لم تتوقف، وسارت في طريقها بثبات وتألق. من خلال الحديث عن عدد كبير من الشخصيات وما يرتبط بها من حوادث، تكشف مذكرات طوغان «كيف كانت الصحافة مرادفة للتحرر الوطني، وكيف ارتفع الصحافيّون بأدائهم ونضالهم، وكيف ارتفعت مكانة الصحافي وأصبح طليعة ندّية لقيمة الملك، وبعض هؤلاء محمد التابعي، محمود عزمي، محمد توفيق دياب، حافظ محمود، فكري أباظة، أحمد قاسم جودة، مصطفى مرعي، أحمد أبو الفتح، وسواهم، ولولاهم ما جاء مصطفى وعلي أمين وفاطمة اليوسف ومحمد عودة وإحسان عبد القدوس وأحمد بهاء الدين وبقية ذاك الجيل الذي عاش المجد الصحافي مع هؤلاء الرُّواد.

الخبر الثقافي

كتاب وتوقيع

دعا محمد إقبال حرب إلى حفل توقيع روايته «هنا ترقد الغاوية»، تحت رعاية وزير الثقافة روني عريجي، مساء اليوم، الساعة السادسة، في قصر الأونيسكو، قاعة أنطوان حرب، والمتكلمون: الوزير روني عريجي، عبد الكريم بعلبكي، عبد الكريم أرناؤوط، شكري أنيس فاخوري، والكاتب حرب، ويلي التوقيع حفل كوكتيل.

العدد المئة من «الدراسات الفلسطينية»: حرب غزة... وذكرى عرفات

الدراسات الفلسطينية

صدر العدد 100 (خريف 2014) من مجلة «الدراسات الفلسطينية» متضمناً محورين عن حرب غزة والذكرى العاشرة لغياب القائد الفلسطيني ياسر عرفات.

وفي المحور الأول «غزة 2014، انتصار الصمود مجموعة من المقالات والتقارير التي تقرأ تجربة الحرب في غزة ومعاني انتصار الصمود الذي صنعته المقاومة، إضافة الى حوارين، الأول مع الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي رمضان عبدالله شلح الذي يقدم قراءة للحرب من منظور فصيل أساسي ومؤثر في مجريات الأمور في غزة وعلى المستوى الفلسطيني العام، والثاني مع الطبيب الفلسطيني غسان أبو ستة مقدماً شهادة إنسانية سياسية للحرب الهمجية التي تعرّض لها القطاع.

في المحور الثاني «اسطورة ياسر عرفات» شهادات عن التجربة الميدانية للقائد الفلسطيني من خلال نصوص كتبها رفاقه في مراحل مختلفة من تجربته كقائد وفدائي. وبما أن حدث غزة هو أبعد من كونه حدثاً عابراً وسوف يترك أثراً استراتيجياً على المستويين الفلسطيني و«الإسرائيلي»، فإن المداخل العدد الأربعة التي كتبها كل من ماهر الشريف وإيلان بابِهْ ومضر قسيس ورائف زريق، كان حدث غزة محورها.

إلى إعصار التطرف الذي تمر به المنطقة والذي أخذ شكل «نون» تهجير المسيحيين فيه علامة فارقة خصوصاً بعد استيلاء «داعش» على مدينة الموصل العراقية، لذا كانت استعادة لـ «نون الإنسان» الفلسطينية عبر رسوم الفنان الفلسطيني كمال بُلاطة التي تعود إلى سبعينات القرن الفائت، كتب نصها الياس خوري انطلاقاً من الحاضر وتداعياته المستقبلية.

يختتم العدد بالتقريرين الفصليين، الفلسطيني من تحرير خليل شاهين، و«الإسرائيلي» من تحرير أنطوان شلحت، وكلاهما يدور حول غزة.

جائزة كارلوس فوينتس لسيرخيو راميريث

أعلنت جائزة كارلوس فوينتس العالمية في الإبداع الأدبي باللغة الإسبانية، التي تقدر قيمتها بـ 250 ألف دولار، فاز بها الكاتب النيكاراغواني سيرخيو راميريث هذه السنة ، وأوردت لجنة التحكيم في حيثيات الفوز، بحسب صحيفة «البابيس» الإسبانية، إن راميريث «استطاع المزج بين الأدب الملتزم والجودة الأدبية العالية». وتكونت لجنة التحكيم من خوان غويتسولو رئيساً، بارغس يوسا (الذي فاز بالجائزة سابقاً)، سوليداد بويرتوبلاس، مارغو غلانتث وغونثالو ثيلوريو.

سيرخيو راميريث روائي وكاتب مقال وصحافي، وقبل أي شيء نيكاراغواني. ولد عام 1942 في قرية ماساتيبي، قرب بركان مسايا، حيث استقرت أطماع الغزاة الإسبان في القرن السادس عشر. ويعتبر راميريث من الكتاب الذين جعلوا من أميركا اللاتينية وحكاياتها الأسطورية وطناً أدبيّاً، ضمن فضاء يسمونه بالواقعية العجائبية أو بالواقعية السحرية. ولا يفكر راميريث في هذا الاكتشاف الذي حدث على يد أليخو كاربنتير وغارثيا ماركيز وخوان رولفو، سواء كان ذلك أسطورة أو ماضياً مجيداً. يعتقد أنه حاضر، حاضر صرف، ويستشهد بما يسمى بـ «قناة نيكاراغوا»، قائلاً: «ظهر فجأة رجل صيني كان بائع أعشاب وأعلن أنه سيشيّد قناة طولها 300 متر وتكلفتها 50 مليون دولار وستقسم نيكاراغوا قسمين. ويأتي الرئيس دانييل ويمنحه مدة قرن لإنجازها. ويصدق الناس جميعاً ذلك. يصدقون أن القناة ستجعلهم أغنياء.

تعليقاً على فوزه قال راميريث:»هذه جائزة خاصة جداً بالنسبة إليّ، أولاً لأنها تحمل اسم كارلوس فوينتس، ثانياً لأن أول من فاز بها بارغس يوسا، ثالثًا لأن مؤسسة غارثيا ماركيز هي التي رشحتني، وأخيرًا يترافق فوزي مع مئوية خوليو كورتاثر».

يرى مؤلف «مارغريتا، البحر جميل»، الفائزة بجائزة ألفاغوارا عام 98، أن كارلوس فوينتس هو «أحد آخر المثقفين الذين حملوا مسؤولية وطنهم ولم يلجأوا إلى الصمت، وأحد الذين واجهوا التاريخ الأسود للعصابات القاتلة». ومثلما كان فوينتس نبياً في أرضه ونبش في ماضي بلده، كان راميريث كذلك في نيكاراغوا. رغم أن نيكاراغوا «أقل ملحمية ومكتظة بالخونة والبهلوانات والمستثمرين الأجانب». يقول: «لكن العجلة تدور بطريقة متوقعة، نعرف أنها ستتوقف ثم تعمل للخلف ثم تعمل للأمام من جديد. سنرى القادة المقنّعين أنفسهم بطريقة مختلفة بحسب الفترة الزمنية، لكنهم سيكونون دوماً الأشخاص ذاتهم: طموحين، كذبة، قليلي الموهبة، مغلفين بالبلاغة، مكررين كلمة الثورة عينها».

يصف راميريث المشهد الأدبي اليوم في اللاتينية قائلاً: «إنّه مليء باكتشاف مواضيع جديدة، وتنوع لغوي، وتجريب، ويتميز بتسليط الضوء على ثيمات نعيشها: الهجرات نحو الحلم الأميركيّ، تجارة المخدرات، الفساد السياسي، العصابات الشابة»، ويضيف: «أقرأ باهتمام للشباب وأتعلم منهم ألا أتخلى عن الشعور بالمغامرة في الكتابة».

الإسبانيّ «بيجاك» ينقل الفنّ إلى شوارع أوروبا

بعد إبداعه رسوماً منمنمة على النوافذ لتتفاعل مع عالمها الخارجي، يستمر الفنان الإسباني الشاب المعروف باسم "بيجاك" في إنجاز أعمال مبتكرة تصنع له اسماً يكبر يوماً بعد آخر، ونشر حديثاً على حسابه في انستغرام صوراً لرسومه الشاعرية على جدران شوارع مدن أوروبية. ويحاول "بيجاك" أخذ الفن إلى الناس الذين ربما لا يستطيعون زيارة المتاحف، ولذا نجد رسومه الأخيرة على حيطان شوارع في موسكو وباريس واسطنبول ولندن وميلان وغيرها. ويهتمّ بيجاك بتفاعل الفن مع الإنسان، لذا يعمل على الرسوم التفاعلية وفن الشارع، وتتميز رسومه على الجدران بلمسة شاعرية قوية. وكانت أشهر رسومه المنمنمة مثل ظلال صغيرة تتناسق مع ما خلفها من مشهد على زجاج النوافذ، وشكل منها مجموعة فنية أولتها المواقع والمجلات المتخصصة في الفن المعاصر اهتماماً كبيراً.